

## اليوم كالأمس

يقولون إن البشر عاش قرونا وقرона وهو في الغاب يتشارج ويتقاتل ليعيش كما تتشاجر الحيوانات ويتقاتل، وإن البشر الذي تميز بالعقل ورقى في العواطف سرعان ما خرج من الغاب ينشد المدينة وسرعان ما أولد لدنياه الجديدة من الأنظمة والقوانين ما أباح به نفسه أن يسخر كل الحيوانات وهو زعيم أنه رأس الحضارة وأن سلالته تسمى إلى درجة لا تدرك. ولكن البشر الذي اتخذ من تلك القوانين والأنظمة ستاراً ليخفى وراءه مطامعه الأصيلة لاستغلال الحيوان لم يكتف بذلك بل شاء إلا أن يعبر في كل فترة أنه خرج من الغاب دون أن يخرج من طبائع الغاب.

ماذا تفعل البشرية اليوم؟ إنها في حرب كما كانت منذ وجدت الحياة في الغاب تتشاجر لستقاتل لا بالعصى، ولا بالسيوف ولكن بالمدمرات الهالكة والسوموم الفتاكة. والغريب أن البشر حتى في هاته الحالة يريد أن يختفى وراء الألفاظ المسولة؛ فما من محارب إلا وهو ينشد حرية، وما من مقاتل إلا وهو يدافع عن شرف، وما هما في الحقيقة إلا فرد الغاب يريد أن يقاتل ويحب أن يسفك الدماء إرضاء لتلك النزعات التي تمتلكه وهو ريقها وهي مسخة له. يقف اليوم العالم جمجمة في صفين متقابلين كما وقفت بالأمس جماعات الغاب وأساس حياتها حب الغزو والمليل لا إلى الفتاك فإذا شنت ميلها الحيواني ارتمت صريعة تقاسى من أهوال الحرب وتئن من ويلاته وتسخط عنمن دفعها إلى هذه المجزرة فإذا ما نجت كل تلك الأهوال وجميع هذه المصائب وأخذت تفكك من جديد في محيرة أشنع. تلك هي البشرية في المدينة كما هي الحيوانية في الغاب. الفرق الوحيد بينهما أن الأولى تحفي نزعاتها وراء الألفاظ بينما الثانية صريحة متجردة تفعل ما أمرت به ولن تجد لسنة الله تبديلاً.